تفسير

سورة القارعة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ اسم من أسماء القيامة في قول الجميع[٢].

قال الكلبي: «سُمِّيت قارعة، لأنها قرعت قلوبهم»[٣].

---

(١) مكية بقول الأكثرية، وقيل: إنها مدنية.

(٢) جامع البيان ٣٠/ ٢٨٠، وبحر العلوم ٣٢/ ٧٠، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٩. حكى الإجماع الفخر في التفسير الكبير ٣٢/ ٧٠، وعزاه ابن عطية لجمهور المفسرين في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٦، وكذلك ابن حيان في البحر المحيط ٨/ ٥٠٦، وقد قال بذلك ابن عباس، ووكيع. انظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٨١، والدر المنثور ٨/ ٦٠٥. وقد قال به أيضاً ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٧، والزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٥، والسمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٥٠٥، وانظر: معالم التنزيل ٤/ ٥١٩، ولباب التأويل ٤/ ٤٠٣، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨٠، وفتح القدير ٥/ ٤٨٥. أمَّا من خالف هذا القول فقال: «هي النار ذات التغيظ والزفير»، قاله الضحاك كما في البحر المحيط ٨/ ٥٠٦، وقال الكرماني في غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢/ ١٣٨١: «الجمهور على أنها القيامة، وقيل الصيحة، والغريب هي النار».

(٣) ورد معنى قوله مفصلاً في التفسير الكبير ٣٢/ ٧٠.

وقال مقاتل : «لأنها تقرع أعداء الله بالعذاب»[١] .

وقال أبو إسحاق : «القارعة التي تقرع بالأهوال»[٢] .

وقال أهل المعاني : «القارعة (البلية)[٣] التي تقرع القلوب بشدة المخافة والفزع بضرب[٤] بشدة اعتماد»[٥] .

٢-٣. قوله تعالى : ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ تهويل وتعظيم .

ثم عجب نبيه ﷺ منها ، فقال : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ تعظيماً لشدتها .

ثم بيَّن أنها متى تكون (فقال)[٦] : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ ﴾[٧] ؛ (أي)[٨] القارعة (تقرع)[٩] .

٤. (قوله)[١٠] : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ . قال الكلبي : «شبههم يومئذٍ بالفراش الذي يطير بين السماء والأرض ، فيجول بعضه في[١١] بعض»[١٢] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢٤٨ب ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧٠ ، وعلَّق الفخر عليه بقوله : «وهذا أَولى من قول الكلبي ، لقوله تعالى : ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾» .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٥ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) في (ع) : (الضرب) .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ساقط من (أ) .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(١١) في (أ) : (على) .

(١٢) ورد قوله مختصراً في النكت والعيون ٦/ ٣٢٨ .

وقال مقاتل : «يعني يجول بعضهم في بعض إذا خرجوا من القبور ، شبههم في الجولان بالفراش المبثوث ، وشبههم في الكثرة بالجراد»[١] . وهو قوله : ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر :٧] .

وقال الفرَّاء : «كغوغاء[٢] الجراد يركب بعضه بعضاً ، كذلك الناس يومئذٍ يجول بعضهم في بعض»[٣] .

وقال أبو إسحاق : «الفراش ما تراه كصغار البَق[٤] يتهافت[٥] في النار ، وشبَّه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر ، وبالفراش المبثوث ، لأنهم لمّا بُعثُوا يموج بعضهم في بعض كالجراد والفراش»[٦] .

وقال أبو عبيدة : «الفراش طائر لا بعوض ولا ذباب»[٧] .

وقال المُبرِّد : «وهو يوصف بالجهل لتهافته في النار» .

---

(١) تفسير مقاتل ٢٤٩أ .

(٢) غوغاء الجراد : إذا احمرَّ وانسلخ من الألوان كلها ، وبدت أجنحته بعد الدَّبى . وقال أبو عبيدة : «الجراد أول ما يكون سَرْوة ، فإذا تحرك فهو دَبًى قبل أن تنبت أجنحته ، ثم يكون غوغاء ، وبه سُمِّي الغوغاء ، والغوغاء : الصوت والجلبة» . انظر : لسان العرب (غوى) ١٥/ ١٤٢ .

(٣) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٨٦ بنصه .

(٤) البق : البعوض والجمع البقٌّ . انظر : مختار الصحاح (بق) ٦٠ .

(٥) يتهافت : يتساقط من الهَفْت ، وهو السقوط . انظر : لسان العرب (هفت) ٢/ ١٠٤ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٥ .

(٧) ورد نحوه في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٩ .

وأنشد جرير :

وقدْ كانَ أقوامٌ رددتُ حلومهمْ

عليهمْ وكانوا كالفراشِ منَ الجهلِ[١][٢]

وقال الليث : «الفراش الذي يطير»[٣] ، وأنشد :

أودى بجهلهم الفياش فجهلهم[٤]

حلم الفراش غشين نار المصطلى[٥][٦]

وقال صاحب النظم : «إنما شبههم بالفراش ؛ لأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة ، فدلَّ هذا على أنهم إذا بعثوا فزعوا ، واختلفوا في المقاصد على جهات مختلفة» ، و﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾ : المفرق ، يقال : بثَّه إذا مزَّقه[٧] .

٥. قوله : ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ .

---

(١) لم أعثر عليه في ديوانه ، وقد ورد في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٦٥ برواية : (رددت قلوبهم إليهم) ، وفتح القدير ٥/ ٤٨٦ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقول المُبرِّد .

(٣) (الفراش الذي يطير) : غير مقروءة في نسخة (ع) .

(٤) في (ع) : (بحملهم الغياش محملهم) بدلاً من (بجهلهم الفياش مجهلهم) .

(٥) ورد البيت غير منسوب في تهذيب اللغة (فرش) ١١/ ٣٤٦ برواية : (بِحِلْمِهم الفياش فحِلْمهم) .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (فرش) ١١/ ٣٤٦ بنصه .

(٧) ورد بمثله غير منسوب في التفسير الكبير ٣٢/ ٧٢ ، ولم أعثر عليه في ما لدي من مصادر .

(العهن : الصوف ذو الألوان)[١] ، وقد مَرَّ عند قوله : ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج :٩] .

(والنفش : مدك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض)[٢] ، وهو أهون ما يكون من الصوف .

والمعنى : أنها تصير خفيفة في السير ، كالصوف الذي نفش باليد .

ثم ذكر أحوال الناس بقوله :

٦. قوله[٣] (تعالى)[٤] : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ .

قال مقاتل[٥] ، (والكلبي[٦][٧] : رجحت حسناته) .

٧. ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي ذات رضىً يرضاها صاحبها[٨] ، وهي كقولهم : لابن ، ونابل ، وتامر» .

---

(١) ما بين القوسين قول أبي عبيدة نقله عنه من مجاز القرآن ٢/ ٣٠٩ ، وقال بمعناه الأزهري : في تهذيب اللغة (عهن) ١/ ١٤٥ .

(٢) ما بين القوسين من قول الليث نقله عنه بنصه من تهذيب اللغة (نفش) ١١/ ٣٧٦ .

(٣) في (ع) : (بقوله) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٥) تفسير مقاتل ٢٤٩أ .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ورد نحوه في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٥ .

(قال أبو بكر)[١] : «بمعنى ذو لبـــن ، ونبل ، وتمر»[٢] ، ولهذا قال المفسرون في تفسيرها : «مرضية»[٣] على معنى يرضاها صاحبها .

٨. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ؛ أي رجحت سيئاته على حسناته .

قال أبـــو بكر : «إنما ثقلـــت موازينهم باتباعهم الحـــق ، وثقلت[٤] عليهم . وحق لميزان لا يوضع فيه إلَّا الحق أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفَّت موازين مَن خفَّت باتباعهم الباطل في الدنيا ، وخفتهم عليهـــم (وحق)[٥] لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً»[٦] . ونحـــو هذا ذكر مقاتل ، وقال : «لأن الحق ثقيل ، والباطل خفيف»[٧] .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) انظر : الأصول في النحو لأبي بكر السراج ٣/ ٨٣ .

(٣) نسبه الفخر إلى المفسرين في التفســير الكبير ٣٢/ ٧٣ ، وقال بمعنى ذلك قتادة ، وقال : «هي الجنة» ، وفسَّرهـــا الماوردي فقـــال : «يعني في عيشـــة مرضية» . وقد ورد قـــول قتادة أيضـــاً في جامع البيان ٣٠/ ٢٨٢ ، والدر المنثور ٨/ ٦٠٥ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وعن مجاهد قال :«في عيشة قد رضيها في الجنة» . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٨٢ ، وقد ذهب إلى القول : «مرضية» الســـمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٥٠٥ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٤١/ أ ، وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٤/ ٥١٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٦٦ ، وفتح القدير ٥/ ٤٨٦ .
وقد ذكر المـــاوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٢٩ وجهاً آخر في الآية ، هو : «نعيم دائم» ، ونســـبه إلى الضحاك ، ثم قال : «فيكون على الوجه الأول من المعاش ، وعلى الوجه الثاني من العيش» .

(٤) في (ع) : (ثقله) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ورد في التفسير الكبير ٣٢/ ٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٦٧ بنحوه .

(٧) ورد بمعناه في تفسيره مقاتل ٢٤٩أ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧٣ .

٩. (وقوله)[١] : ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ . قال الليث : «الهاوية اسم من أسماء جهنم»[٢] ، (والهاوية كل مَهوَاة لا يُدرك قعرها)[٣] .

والمعنى : فمسكنه جهنم . (وهذا معنى قول عطاء[٤] ، والكلبي[٥] ، وأكثر المفسرين)[٦][٧] .

قال أبو إسحاق : «وقيل لمسكنه : (أُمُّه) ؛ لأن الأصل في السكون إلى الأمهات ، فقيل الذي له بدل ما يسكن إليه : (نار حامية)»[٨] .

وهذا معنى (قول)[٩] الفرَّاء : «صارت هاوية مأواه ، كما (تؤوي)[١٠] المرأة ابنها[١١] ، فجعلها ، إذ لا مأوى له غيرها ، أماً له»[١٢] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) هذا من قول ابن المظفر ، وليس الليث . انظر : تهذيب اللغة (هوى) ٦/ ٤٩٠ .

(٣) ما بين القوسين من قول الأزهري نقله عنه بنصه من تهذيب اللغة (هوى) ٦/ ٤٩٠ .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) ممن قال بذلك ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٨٣ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٩ ، والدر المنثور ٨/ ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ونسبه ابن عطية إلى أكثر المفسرين ٤/ ٥٨١ ، وقال به أيضاً ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٧ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٤١أ-ب ، وانظر : معالم التنزيل ٤/ ٥١٩ والبحر المحيط ٨/ ٥٠٧ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ورد في معاني القرن وإعرابه ٥/ ٣٥٦ بتصرف . (فقيل : الذي له بدل ما يسكن إليه نار حامية) فيها ركاكة ، والعبارة كما هي عند الزَّجَّاج على النحو الآتي : (فأبدل في ما يسكن إليه نار حامية) ، (فأبدل في ما) بدلاً من (فقيل الذي له بدل) .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) في (أ) و(ع) : (تردي) ، وأثبت ما جاء في مصدر القول .

(١١) في (أ) : (منها) .

(١٢) معاني القرآن ٣/ ٢٨٧ .

وقال مقاتل : «يقول يؤم الناس[١] الهاوية»[٢] ، وهذا إنما كان يحتمل لو قُرئ : (فأمَّه) بفتح الهمزة ، ولم يروَ ذلك عن أحد .

وذكر أهل المعاني قولين آخرين :

أحدهما : أن المعنى خسرت نفسه وهلكت ، والعرب تقول : هوت أمه ، إذا هلك وعطب[٣] ، وهذا قول الأخفش ، والمُبرِّد[٤] ، وصاحب النظم ، وأنشدوا لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه (فقال)[٥] :

هَوَتْ أُمُّهُ ما يبعثُ الصبحُ غادياً
وماذا[٦] يؤدي الليلُ[٧] حينَ يؤوبُ[٨]

وأنشد المُبرِّد[٩] قول الكندية[١٠] :

هَوَتْ أُمُّهُمْ ماذا بهمْ يومَ صُرِّعوا بجيشانَ منْ أسبابِ مجدٍ تَصَرَّما[١١]

---

(١) في (ع) : (النار) .
(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٣) في (أ) : (عصب) .
(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٥) ما بين القوسين ساقط من (ع) .
(٦) في (أ) : (وما) .
(٧) في (أ) : (الل) .
(٨) ورد البيت في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٦٧ . انظر : البحر المحيط ٨/ ٥٠٧ ، وفيه (ما ينعبث) بدلاً من (من يبعث) ، و(وماذا يرد الليل حين يؤون) بدلاً من (ماذا يؤدي الليل حين يؤوب) ، وروح المعاني ٣٠/ ٢٢٢ .
(٩) لم أعثر على مصدر لقوله .
(١٠) الكندية : أم صريح شاعرة جاهلية قالت البيت ضمن قصيدة ترثي فيها قومها وقد ماتوا يوم جيشان . انظر : معجم البلدان ٢/ ٢٠٠ ، وديوان الحماسة ١/ ٤٥٩ .
(١١) ورد في معجم البلدان ٢/ ٢٠٠ ، وديوان الحماسة ١/ ٤٥٩ ، وتهذيب اللغة (ناب) ١٥/ ٤٨٩ برواية : (. . . ما ذامُهُمْ بنَيْسانَ من أَنْيابِ مَجْدٍ تَصَرَّمَا) .

القول الثاني :

(فأم[١] رأسه هاوية في النار) . ذكره الأخفش[٢] ، والكلبي ، فقال : «ويقال : أمه هاوية ، لأم الرأس»[٣] . وإلى هـذا ذهب قتادة ، فقال : «إنهم يهوون في النار على رؤوسهم»[٤] .

وروى معمر عنه ، قال : «هذه كلمة عربية يقال : إذا وقع في أمر شديد هوت أمـه»[٥] . وهذا معنى القول الأول من قولي أهل المعاني ، ويدل على صحة القول الأول ، (وهو الذي عليـه المفسرون)[٦] ، ما روي في الحديث أن المؤمن إذا مات ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين فيسـألونه[٧] ويقولـون : ما فعل فلان وفلان ؟ حتى إذا سـألوه عمن لم يأتهم ممن قد مات ، (فيقول : قد مات)[٨] ، أما جاءكم ؟ فيقولون : لا ، ذهب به إلى أمه الهاوية[٩] .

---

(١) ساقط من (أ) .

(٢) ورد في التفسير الكبير ٣٢/ ٧٤ ، وورد بمعناه في تفسـير القرطبي ٢٠/ ١٦٧ بلفظ : (فمستقر) ، ثم قال القرطبي : «والمعنى متقارب ، يعني مع مَن قال يهوي فيها على أُمِّ رأسه» .

(٣) ورد في التفسـير الكبير ٣٢/ ٧٤ ، وورد بمثله عن أبي صالح ، في جامع البيان ٣٠/ ٢٨٢ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٤١ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٩ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٧ .

(٤) جامع البيان ٣٠/ ٢٨٣ ، والكشـف والبيان ١٣/ ١٤١ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨٠ .

(٥) ورد في تفسـير عبدالـرزاق ٢/ ٣٩٢ ، وجامـع البيـان ٣٠/ ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، والكشـف والبيـان ١٣/ ١٤١ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥١٩ ، وزاد المسـير ٨/ ٢٩٩ ، والتفسـير الكبير ٣٢/ ٧٤ ، والدر المنثور ٨/ ٦٠٦ منسوباً إلى ابن المنذر .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) في (أ) و(ع) : (فيسلونه) .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) أخرج النسائي بمعناه مطولاً ، وقد انفرد به من طريق أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً في كتاب الجنائز ٤/ ٣٠٦ ح ١٨٣٢ ، والحاكم عن الحسن مرفوعاً في كتاب التفسير (سورة القارعة) ٢/ ٥٣٣ ، وقال : «هذا حديث مرسل صحيح الإسـناد» ، ووافقه الذهبي ، وورد عند عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٩٢ =

ويدل أيضاً على صحته أن الله -تعالى- قد أخبر عنها ، فقال :

١٠. (قوله)[١] : ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ .

يعني الهاوية ، والهاء في ﴿مَا هِيَهۡ﴾ للوقف ، فإذا وصل جاز حذفها[٢] ، والاختيار الوقف بالهاء ، لاتباع المصحف ، والهاء ثابتة[٣] فيه[٤] .

وذكرنا الكلام في هذه الهاء عند قوله : ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ [البقرة :٢٥٩] ، و﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام :٩٠] ، و﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ﴾ [الحاقة :٢٨] .

ثم فسَّرها الله -تعالى- وأخبر عنها ، فقال :

١١. ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ ؛ أي هي نار حامية ، قال الكلبي[٥] ومقاتل[٦] : «حارَّة قد انتهى حرُّها كقوله : ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية :٤]» .

= من طريق معمر ، عن أشعث بن عبدالله الأعمى ، وبالطريق نفسه عند الطبري في جامع البيان ٣٠/ ٢٨٢ ، وورد عند القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٦٧ من طريق أبي هريرة ، وإسناد عبدالرزاق في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨٠ ، والدر المنثور ٨/ ٦٠٦ بطرق مختلفة ، وفي زاد المسير ٨/ ٢٩٩ من غير ذكر الإسناد .

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) قرأ حمزة ويعقوب ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ بحذف الهاء في الوصل ، وقرأ الباقون بإثبات الهاء في الوصل . انظر : المبسوط ٤١٤ ، وحجة القراءات ٧٧٠ .

(٣) في (أ) : (باقية) .

(٤) ممن قال بالوقف النحاس في القطع والائتناف ٢/ ٨١٦ ، والداني في المكتفي في الوقف والابتداء ٦٢٧ . انظر : علل الوقوف للسجاوندي ٣/ ١١٥٣ ، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ٤٣٣ ، والمقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء لأبي يحيى زكريا الأنصاري ٤٣٣ ، وهو مذيل بكتاب الأشموني . قال النحاس : «ويستحب الوقف على (هيه) ، لأنه إن وصل بغير هاء خالف السواد ، وإن وصل بالهاء لحن ، فالوقف عليها أسلم» . انظر : الوقف في الابتداء ٢/ ٨١٦ . وعن السجاوندي -في بيان علة الوقف- قال لتمام الجملة . انظر : علل الوقوف ٣/ ١١٥٣ .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) تفسير مقاتل ٢٤٩أ .